مشكلة الجهل بالآخر وأثرها في إعاقة التنمية المستدامة

د.محمّد فؤاد ضاهر
الأستاذ المشارك في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بجامعة الجنان، طرابلس- لبنان
mohamad.daher@jinan.edu.lb
ORCID: 0009-0008-6873-1770
0096181769928

مستخلص البحث:
تناوَل البحثُ مشكلةَ الجهلِ بالآخَر كمعضلة فكريَّة واجتماعيَّة عانت منها المجتمعاتُ الإنسانيَّةُ عبر العصور، مراعيًا تضاعُفَ أثرها في المجتمعات المختلَطة ثقافيًّا ودينيًّا، نتيجة سوء الفهم وتصاعُد الصراعات وتعطيل مسيرة التنمية. فهدف للدعوة إلى بناء ثقافة معرفيَّة بالآخَر داخلَ المجتمع الإسلاميِّ، في ظلِّ التوجُّه العالَميِّ نحو تحقيق أهداف التنمية المستدامة 2030، حيث أصبح من الضروريِّ إعادةُ النظر في العَلاقة بين المعرفة بالآخَر وبين بناء مجتمعات متماسكة وسلميَّة. فإلى أيِّ مدًى يُسهِم الجهلُ بالآخَر في تعطيل مشاريع التنمية المستدامة في المجتمعات المسلمة؟
جوابًا عن هذه الإشكاليَّة انتظم البحثُ في مقدِّمةٍ، وخمسةِ مباحثَ، وخاتمةٍ، وفهرس للمصادر والمراجع، وفق المنهج الوصفيِّ- التحليليِّ.
وخلص إلى النتائج الآتية:
1. يمثِّل الجهلُ بالآخَر مُعوِّقًا رئيسًا أمامَ تحقيق التنمية المستدامة في المجتمعات المسلمة. تبدأ معالجةُ هذا الجهل بدعم المناهج التدريسيَّة الوفاقيَّة، وتعزيز قيم الحوار، وتقدير التنوُّع، وتثمين التجارب الدينيَّة المختلِفة بدلَ شيطنتها.
2. الجهل بالآخَر يولِّد سوءَ الفهم والأحكام الإقصائيَّة، وينتج عنه التعصُّبُ، وتغذية الفُرقة والفتنة. وتبقى الدعوةُ مفتوحةً أمامَ النُّخب الفكريَّة والعلميَّة، لتبنِّي مشاريعَ معرفيَّةٍ إصلاحيَّةٍ، تنهض بوعي الأُمَّة تُجاهَ الآخَر المختلِف، بوصفه شريكًا في صناعة المستقبَل، لا عدوًّا يُخشى منه.
3. تُقدِّم اجتهاداتُ السيِّد علي الأمين نموذجًا عمليًّا لتجاوز الجهل بالآخَر، وتكشف أنَّ التصحيح المعرفيَّ للعَلاقات بين الطوائف ركيزةٌ رئيسةٌ لبناء أوطانٍ مستقرَّةٍ قابلةٍ للنهوض الاقتصاديِّ والاجتماعيِّ، بما ينسجم تمامًا مع أهداف التنمية المستدامة في مجتمعاتنا.

الكلمات المفتاحيَّة: مشكلة، الجهل بالآخَر، التنمية المستدامة، الدراسات الإنسانيَّة، البحوث المقارنة.

المقدِّمة:
يشهد عالَمُنا المعاصر تعقيداتٍ متزايدةً في العَلاقات الاجتماعيَّة والثقافيَّة بين مكوِّناته المختلِفة. ومن أبرز التحدِّيات التي تواجه المجتمعاتِ المسلمةَ اليوم مشكلةُ الجهل بالآخَر، التي تمثِّل عائقًا حقيقيًّا أمامَ بناءِ سلمٍ أهليٍّ متينٍ، وتحقيق أهداف التنمية المستدامة. فعندما تغيب المعرفة الموضوعيَّةُ بالآخَر؛ يسود الجهل، وتنتشر الأحكام المُسبَقة، وتتَّسع مساحاتُ الشكِّ والكراهية، فالجهل بالآخر لا يُولِّدُ فقط سوءَ الفهم، بل يَنتجُ عنه أيضًا نزاعاتٌ طائفيَّةٌ تهدِّد وحدةَ الأُمَّةِ واستقرارَ المجتمعات وزعزعة أمن الوطن. في هذا السياق، يُعتبَر الجهلُ بالشيعة نموذجًا تطبيقيًّا واضحًا على أثر الجهل بالآخر. وتحتلُّ هذه المسألةُ موقعًا خطيرًا في ظلِّ الحاجة الملحَّة إلى تحقيق التنمية المستدامة، القائمةِ على إشاعة ثقافة السلم الأهليِّ، وبناء التفاهم والتعايش، وقَبول الاختلاف، وترسيخ القيم الإنسانيَّة المشترَكة، خاصَّةً في المجتمعات ذات التنوُّع المذهبيِّ، ممَّا يجعل دراستَه ضروريَّةً لفهم آليَّات الإصلاح والتقدُّم.

أ- إشكاليَّة البحث:

انطلاقًا ممَّا تقدَّم، يحاول البحثُ تفكيكَ هذه الإشكاليَّة، وتسليطَ الضوء على أسبابها، وصورها، وسُبُلَ معالجتها، وفق التساؤل المركزيِّ الآتي:

إلى أيِّ مدًى يُسهم الجهلُ بالآخَر في تعطيل مشاريع التنمية المستدامة في المجتمعات المسلمة؟

ثمَّ تفرَّعت عنه أسئلة مكمِّلة لأساس الموضوع على الوجه الآتي:

1. ما الآثارُ السلبيَّة التي يُخلِّفُها الجهلُ بالآخَر في مسيرة التنمية؟
2. ما السُّبل الكفيلةُ بمعالجة هذا الجهل لتحقيق مجتمعٍ سلميٍّ وعادل ومتماسك؟
3. هل يُمكِن اعتبارُ القضاء على الجهل بالآخَر شرطًا لتحقيق التنمية المستدامة؟
4. كيف يُمكِن الإفادةُ من اجتهادات فكريَّةٍ حديثةٍ في بناء ثقافة التعرُّف إلى الآخَر؟

ب- فرضيَّات البحث:

يمكن تصوُّر الفرضيَّات الراشحة عن الأسئلة السابقة على الشكل الآتي:

1. يؤدِّي الجهلُ بالآخَر إلى زيادة النزاعات الداخليَّة والانقسامات الطائفيَّة، ما يهدِّد السلمَ الأهليَّ، ويُضعِف التنميةَ المستدامة.
2. يمكن، عبر المناهج التربويَّة والإعلام الواعي، أن يُعاد تشكيلُ الوعي المجتمعيِّ لصالح قَبول التنوُّع وتجفيف منابع الاحتقان، وتصحيح الصورة النمطيَّة عن الآخَر، ممَّا يُسهِم مباشرةً في دعم مشاريع التنمية.
3. المعرفةُ بالآخَر وإدراكُ تنوُّعه الداخليِّ يتيحان فرصةً إيجابيَّةً لكيفيَّة التعامُل معه واحترامِه، ويسهمان في بناء السلم الأهليِّ والأمن المجتمعيِّ، اللَّذانِ هما شرطٌ أساسٌ لتحقيق التنمية المستدامة.
4. تفعيلُ الاجتهادات الفكريَّة الحديثة، القائمة على الحوار والانفتاح، لأعلام الإصلاح والاعتدال، يُسهم في ترسيخ ثقافة التعرُّف إلى الآخَر، ويُعالج جذورَ التوتُّر الناتجة عن الجهل به والتعصُّب والانغلاق، بما يعزِّز التماسك المجتمعيَّ والتنمية الثقافيَّة المستدامة.

ج- أهداف البحث:

تغيَّا البحثُ تحقيقَ الأهداف الآتية:

1. دراسة مفهوم الجهل بالآخَر وآثاره الاجتماعيَّة، وتحليل العَلاقة بينه وبين تعطيل أهداف التنمية المستدامة، من خلال التطبيق على الجهل بالشيعة نموذجًا.
2. اقتراح حلولٍ عمليَّة تربويَّة وإعلاميَّة لتعزيز ثقافة معرفة الآخَر وقَبوله، والتخفيف من آثار الجهل به، وبناء بيئات حاضنة للتنمية.
3. بيان كيف أنَّ التعليمَ الجيِّد ومكافحةَ الصور النمطيَّة يساهمان في التعرُّف إلى الآخر، وبالتالي يدعمان السلمَ الأهليَّ والأمنَ المجتمعيَّ.
4. تحليل كيفيَّة توظيف الاجتهادات الفكريَّة الحديثة، التي تركِّز على مفاهيم التعدُّديَّة والاعتراف المتبادَل، في تعزيز ثقافة التعرُّف إلى الآخَر داخلَ المجتمعات الإسلاميَّة، بما يُسهم في تقليص النزاعات الثقافيَّة والدينيَّة، ويدعم أُسُسَ التنمية المستدامة.

د- منهج البحث:

اقتفى البحثُ أثرَ المنهج الوصفيِّ- التحليليِّ المنطوي على تشخيص حالة التشظِّي بسبب الجهل بالآخَر وتصوُّر أحكامٍ مسبَقة عنه، وتسليط مِبضع النقد البنَّاء في ضوء الإفادة من التجربة اللُّبنانيَّة نموذجًا.

هـ- خطَّة البحث:

اختطَّ البحثُ طريقَه في مقدِّمة اشتملت على أهمِّيَّة فَهم الآخَر في المجتمعات المتنوِّعة، والعَلاقة بين الجهل بالآخَر وتعطيل التنمية، ومحاولة ربط المسألة بالتنمية المستدامة وأهدافها، ثمَّ عرض الإشكاليَّة والفرضيَّات والأهداف والمنهج المعتمَد والخطَّة. وخمسة مباحث، جاء المبحث الأوَّل في بيان مفهوم

الجهل بالآخَر والتنمية المستدامة. وعرَض المبحثُ الثَّاني نماذج تراثيَّة من صور الجهل بالآخَر. وكشف المبحث الثَّالث عن صور الجهل بالآخَر وآثاره في المجتمع. واستروح المبحث الرَّابع إلى اجتهادات السيِّد علي الأمين في مواجهة الجهل بالآخَر ودورها في دعم التنمية المستدامة. وورد المبحث الخامس بمقترَحات في معالجة أدواء الجهل بالآخَر. ثمَّ خاتمة تضمَّنت أهمَّ النتائج، وأبرزَ التوصيات، وبعضَ المقترَحات العلميَّة. وأخيرًا فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأوَّل
مفهوم الجهل بالآخَر والتنمية المستدامة

أ- الجهل بالآخَر مفهومًا وأسبابًا:

الجهل بالآخَر هو غيابُ الفَهم العميق لطبيعة الاختلاف ومبرِّراته مع الآخَر، ولا يعني فقط نقص المعلومات، بل يشمل الصورة النمطيَّة عنه دون تحقُّقٍ منه مباشرةً. فيصبح الواحد حيالَ الآخر كأنه "مسكون بالأوهام"، على حد تعبير العلَّامة السيِّد فحص[1].

تعود أسبابُ الجهلِ بالآخَر إلى عواملَ عدَّةٍ، تتقاطع مع بعضها في توليد صورة غير حقيقيَّة له، لا يجوزُ الرُّكونُ إليها. وهو ناجمٌ عن انعدام المعرفة الحقيقيَّة بمعتقدات وثقافة وتاريخ الآخَر المختلِف، مع الاستناد إلى الصورة النمطيَّة المشوَّهة أو المغلوطة عنه، بدلًا من الدراسة المباشرة له.

وعلى كلِّ حال يمكن رصدُها في أربع نقاط هي:

1. **العصبيَّة المذهبيَّة** واحتكار الحقيقة المعرفيَّة من مختلف وجوهها، ورمي الآخر بالغلوِّ، أو الكفر، أو الانحراف عن المذهب، إلخ. في الوقت الذي توجد أصوات صدَّاحة بالاعتدال، وتنادي بالتصحيح وتنقية المذهب من لوثات الاستغراب التي فيه[2].

2. **التربية المغلَقة** على أحاديَّة الفريق ثمَّ التخوُّف منه، وصناعة الصدِّ والحؤول دون الآخَر، دون تكلُّف الاطِّلاع على ما لديه خشيةَ التأثُّر به فيما اللهُ تعالى يقول: (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [سبأ: 24]. وهذا ما أدَّى بالعلَّامة آل كاشف الغطاء إلى الشكاية منه، في قوله: "القومُ لا علمَ لهم من الشيعة بشيء، وهم يكتبون عنهم كلَّ شيء!"[3]. وهو ما تأسَّف له المستشار الحقوقيُّ محمَّد سليم العوَّا لكون "معرفة كلٍّ من الطائفتين الكبيرتين المُكوِّنتين، على وجهٍ عامٍّ لمجموع المسلمين، ليست ممَّا يُحقِّق التعارفَ المأمورَ به في القرآن الكريم"، أضاف: "هذا الأمر أظهرُ عند علماء السنَّة وعامَّتِهم منه عند علماء الشيعة وعامَّتِهم"[4]. وأفصح عنه الدكتور أحمد كمال أبو المجد في قوله: "لا يكادُ أكثرُ المثقَّفين غير المتخصِّصين من أهل السنَّة يعرفون عن الشيعة إلَّا أنَّهم طائفةٌ أسرفت في التشيُّع لعليِّ بن أبي طالب، وترى أنَّه كان أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر. وأنَّهم، فوق ذلك، أصحابُ بِدعٍ يخالفون بها مذهبَ أهل السنَّة، ويَخرج بها المتطرِّفون منهم عن دائرة الإسلام الصحيح"[5].

3. **الإعلام المنحاز** لطرف على طرف آخَر، طردًا وعكسًا، ممَّا يولِّد فجوةً ثمَّ يأخذ بتعميقها، إلى درجة شيطنة الآخَر واتِّهامه في نواياه، ورميه بالعمالة وألقاب الذمِّ والقدم. وهذا بارز في القنوات الفضائيَّة ومواقع الشبكة العنكبوتيَّة التي تُروِّج للتكفير بين المسلمين، وتنفيرهم من بعضهم، كدعوى أنَّ الشيعة يكفِّرون من لا يقول بالإمامة بمفهومهم الأيديولوجي! بينما نرى آل كاشف الغطاء قد فرَّق بين الإيمان بالإمامة وفق ما تراه الاثنا عشريَّة، وبين من يقتصر على أركان الإسلام المعروفة. فنصَّ على أنَّه "مسلم ومؤمن بالمعنى الأعمِّ"، ثمَّ رتَّب عليه جميعَ أحكام الإسلام؛ من حرمة دمه وماله وعِرضه ووجوب حفظه، وحُرمة غيبته. وتابع: "لا أنَّه بعدم الاعتقاد بالإمامة يخرج عن كونه مسلمًا، معاذ الله. نعم يظهر أثرُ التديُّن بالإمامة في منازل القرب والكرامة يومَ القيامة. وأمَّا في الدنيا فالمسلمون بأجمعهم سواء، وبعضهم لبعض أكفاء"[6].

4. **الجهل التاريخيُّ بالآخَر**، وعدم مراعاة التحوُّلات والتطوُّر المعرفيِّ وتراكم الخِبرات لديه، ومحاكمته في الزمن الحاضر بناءً على أحداث أو آراء قديمة، لم يكن له يدٌ فيها، أو له اليوم رأيٌ آخَر في صلاحيَّتها من عدمها. كتعميم القول بتحريف القرآن، وجعل هذه المسألة من المسلَّمات لدى الشيعة، مع أنَّ الأصوليين قد تبرَّأوا منها، فقد نقل الإجماعَ على بطلان الزيادة فيه شيخُ الطائفة الطوسيُّ، وأمَّا عن النقصان منه فقال: "الظاهر أيضًا من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى، وهو الظاهر في الروايات". ثمَّ عرَّج على رواياتٍ نعتَها بالكثيرة تفيد النقصانَ والتغيير في مواضع الآي، أكَّد أنَّها آحاد لا توجب علمًا ولا عملًا، وقال: "الأَولى الإعراضُ عنها، وتركُ التشاغل بها، لأنَّه يمكن تأويلُها، ولو صحَّت لما كان ذلك طعنًا على ما هو موجودٌ بين الدفتين؛ فإنَّ ذلك معلوم صحَّتُه، لا يعترضه أحدٌ من الأُمَّة ولا يدفعه"[7]. وكذا نصَّ الخمينيُّ على منع وقوع التحريف، ونقل أنَّه مذهبُ المحقِّقين، ورمى الطَّبَرسيَّ صاحب كتاب "فصل الخطاب" بالتوهُّم فيما كتب، وحكم على رواياته بالضعف، وانتهى مؤكِّدًا إعراضَ الأصحاب عنها وتنزُّهَهم منها[8].

ب- التنمية المستدامة مفهومًا وأهدافًا:

التنميةُ المستدامة تعني بحسب اللَّجنة العالَميَّة المَعنيَّة بالبيئة والتنمية (لجنة برونتلاند- 1987): "التنمية التي تلبِّي احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال المُقبِلة على تلبية احتياجاتها الخاصَّة"[9].

“Sustainable development is development that meets the needs of the present without compromising the ability of future generations to meet their own needs”.

بمعنى آخر: الترشيد والقصد في توظيف الموارد المتجدِّدة، بصورة لا تؤدِّي إلى تلاشيها، أو تدهورها، أو تُنقص من فائدةٍ تجنيها أجيالُ المستقبَل[10].

والتنميةُ المستدامة بمتعلَّقاتها الثلاثة (الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والبيئيَّة) أعظمُ من كونها عملًا فرديًّا أو مبادرةً طوعيَّةً، بل هي جهدٌ مؤسَّساتيٌّ وجماعيٌّ دؤوب، للحفاظ على الحياة البشريَّة، وحماية كوكب الأرض، قال تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) [التوبة: 5]. تهدف بحسب إعلان الأُمم المتَّحدة إلى تحقيق جملة من الأهداف؛ كمكافحة الفقر بأشكاله كافَّةً، والقضاء على الجوع وتحقيق الأمن الغذائيِّ، وضمان حياة صِحِّيَّة، وتعزيز الرفاهية للجميع، وضمان جودة التعليم، وحفظ المدن والقرى البشريَّة، واستدامة المياه والصرف الصحِّيِّ، وحصول الجميع على إمدادات الطاقة، وتوفير العمل للجميع. ترتبط التنميةُ المستدامةُ بالتنمية البشريَّة على أساس الهداية والصالح العامِّ للمجتمع الإنسانيِّ. لذا تأتي "سورة قريش" لتذكِّر بحالتي الترف والغفلة على نقيض الجوع والخوف. وتأتي سورة "التين" لتنبِّه إلى رعاية الإنسان محور الحياة والكون بالإيمان والعمل الصالح لضامن أمن العباد والبلاد.وبحسب أجندةِ الأُمم المتَّحدة لعام 2030، فإنَّ التنمية المستدامة تتوخَّى تحقيق الأهداف السبعة عشر الآتية[11]:

الهدف1: القضاء على الفقر.	الهدف2: القضاء التامُّ على الجوع.
الهدف3: الصحة الجيِّدة والرفاه.	الهدف4: التعليم الجيِّد.
الهدف5: المساواة بين الجنسين.	الهدف6: المياه النظيفة والنظافة الصحِّيَّة.
الهدف7: طاقة نظيفة وبأسعار معقولة.	الهدف8: العمل اللائق ونموُّ الاقتصاد.
الهدف9: الصناعة والابتكار والبنى التحتيَّة.	الهدف10: الحدُّ من أوجه عدم المساواة.
الهدف11: مدن ومجتمعات محلِّيَّة مستدامة.	الهدف12: الاستهلاك والإنتاج المسؤولان.
الهدف 13: العمل المُناخي.	الهدف 14: الحياة تحت الماء.
الهدف15: الحياة في البَرِّ.	الهدف 16: السلام والعدل والمؤسَّسات القويَّة.
الهدف17: عقد الشراكات لتحقيق الأهداف.	

فلا تنميةَ دون بيئة مستقرَّة تسودُها الثقةُ والتعاون بين مختلف مُكوِّنات المجتمع، ويمكن دعم هذه العَلاقة بقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات: 13].

إذن يُعدُّ القضاءً على الفقر المدقع لجميع الناس في كلِّ مكان، ومكافحة الجوع، وتأمين الصحَّة الجيِّدة والرَّفاه، وتوفير التعليم الجيِّد، وتقديم المياه النظيفة والعناية بالنظافة الصحِّيَّة، وتأمين العمل اللائق والنموِّ الاقتصاديِّ، كما الحدُّ من التفاوتات، وسواها من الأهداف السبعةَ عشرَ، بحلول عام 2030م، مقاصدَ محوريَّةً لخطَّة التنمية المستدامة (SDGs) التي وضعتها الأُمم المتَّحدة ضمن أجندتها.

وبنظرة فاحصة إلى الجهل بالآخَر، تراه يحول دون تلاقي القدرات، ويبدِّد الجهود التعاونيَّة لمكافحة الفقر والقضاء على الجوع. ليس هذا فحسب، بل يثير التمييزَ ضدَّ الآخر، ويشيع الكراهيةَ، ويؤدِّي إلى نزاعات وانقسامات حادَّة. من جهة أخرى، يحطِّم المساعي المتطلِّعة إلى تحقيق الصحَّة الجيِّدة والرَّفاه، ونشر السلام والعدالة، ويعيق عقد الشراكات العالَميَّة، كما يقطع السبل لتعزيز جميع تلك الأهداف المشار إليها.بينما التعرُّف إلى الآخَر، وتجسيرُ العَلاقة معه، فإنَّه يدعو إلى تحقيق أهداف التنمية المستدامة وتطلُّعاتِها في النهوض بالمجتمع، وحماية الوطن، وسلامة الحياة على كوكب الأرض. فتنمو من خلاله الثقةُ بالآخَر، وتتقارب القلوبُ، فتتشابك الأيدي، وتعظم الإمكانات المتاحة، ويستريح الكلُّ إلى بعضهم بعضًا، وتتحقَّق الطموحاتُ والآمال، ويصدُّ العدوَّ المشترَك أن يترصَّد هذه الأُمَّةَ، ويغلق عليه نوافذَه تُجاهها. ومن جهة أخرى، إنَّ فهمَ الاختلافات البينيَّة يعزِّز الحوارَ والتسامح، ومتى نجحت المجتمعاتُ في تخفيف الجهل المذهبيِّ والثقافيِّ؛ حقَّقت استقرارًا في المجتمع ونموًّا متصاعدًا وعدالة متزايدةً، فينعكس ذلك إيجابًا على حالة السلم الأهليِّ والأمن المجتمعيِّ اللَّذينِ هما ركيزةٌ أساسٌ للتنمية المستدامة.ويمكن التوصُّل إلى تحقيق هذه الأهداف، في ضوء تعزيز الهدف الرابع، وهو التعليم الجيِّد (Quality Education) ولا سيَّما في إعداد كتاب التربية الدينيَّة انطلاقًا من القواسم المشتركة والتوعية على احترام الآخر بحيث يصير ثقافة مجتمع. ذلك أنَّ الجهلَ بالآخَر سببُه المباشِر ضعفٌ في التربية والتعليم، أو تشتيت الجهود المبذولة فيه، أو الاجتزاء القائم على استدعاء مواقع الخلاف وتغذيتها. ومتى عالَجنا هذا الجهلَ عبر مناهجَ دراسيَّةٍ، تمتاز بالشموليَّة والاعتدال، وتُربِّي على فهم الآخَر واحترامه، وحصر مجال التعرُّف إليه من خلاله دون وساطة طرف ثالث؛ لارتقينا بمستوى التفكير، وقلَّت النزاعاتُ الطائفيَّة، ولأنشأنا جيلًا واعيًا، قادرًا على تحقيق السلام والعيش بأمان، وبناء شراكات قائمة على فهم الآخَر والثقة به، وتوفير بيئة أكثر أمانًا وجذبًا للاستثمار، وتعزيز مشاريع مشترَكة في التنمية الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة.بالإضافة إلى دور السلطة الرابعة التي هي سيف ذو حدَّين، ذلك أنَّ الإعلام الواعي يستطيع معالجةَ الصور النمطيَّة، ويقرِّب المجتمعات من بعضها البعض، بدلًا من تغذية الانقسامات، وإثارة النعرات، وإحداث البلبلات.

استنادًا إلى ما تقدَّم، يمكن القول: إنَّ تجاوز معضلة الجهل بالآخَر لا يُمثِّلُ مجرَّدَ خيارٍ أخلاقيٍّ فحسب، بل هو ضرورةٌ تنمويَّةٌ تفرضها التحدِّيات المعاصرة. فالتنمية المستدامة، في جوهرها، تقوم على بناء مجتمع سلميٍّ وعادل، يحترم تنوُّعَه ويستثمرُه في تعزيز البناء والتقدُّم. لذا، فإنَّ التصدِّي للجهل بالآخَر عبر سياساتٍ تعليميَّة وإعلاميَّة هادفة، يُشكِّل ركيزةً رئيسةً في تحقيق مجتمع متماسك، قادر على الصمود ومواصلة التنمية. ولا تنميةَ مستدامة دون سلام، ولا سلام دون معرفةٍ حقيقيَّةٍ بالآخَر.

المبحث الثاني
نماذج تراثيَّة من صور الجهل بالآخَر

أ- موقف الإمام الأوزاعيِّ (ت157هـ) من الإمام أبي حنيفةَ (ت150هـ):

قال عبد الله بن المبارك (ت181هـ): "قدمت الشامَ على الأوزاعيِّ، فرأيتُه ببيروتَ، فقال لي: يا خراسانيُّ، **من هذا المُبتدِع الذي خرج بالكوفة [ضالٌّ مضلٌّ يدعو الناسَ إلى بِدعة]، يُكنَّى: أبا حنيفةَ؟** فرجعت إلى بيتي، فأقبلت على كتب أبي حنيفة، فأخرجت منها مسائلَ من جيادِ المسائل [وكتبتُها بحُججها]، وبقيت في ذلك ثلاثةَ أيَّامٍ [وثلاث ليال]. فجئت يومَ الثالث، وهو-أي: الأوزاعيُّ- مؤذِّنُ مسجدِهم وإمامُهم، والكتاب في يدي، فقال: أيُّ شيء هذا الكتابُ؟ فناولتُه، فنظر في مسألة منها وقَّعتُ عليها: (قال النُّعمان بْن ثابتٍ). فما زال قائمًا بعدما أذَّن حتَّى قرأ صدرًا من الكتاب، ثمَّ وضع الكتابَ في كُمِّه، ثمَّ أقام وصلَّى [ينا صلاةَ الصُّبح]، ثمَّ أخرج الكتابَ حتَّى أتى عليها. فقال لي: يا خراسانيُّ، مَن النُّعمان بنُ ثابتٍ هذا **[الذي هذه الجواباتُ الحِسان له]؟** قلت: شيخٌ لقيتُه بالعراق. فقال: **هذا نبيلٌ من المشايخ، اذهب فاستكثِر منه**. قلت: هذا أبو حنيفةَ الذي نَهيتَ عنه! [قال: **حرامٌ عليَّ أن أنهاك عمَّن تتعلَّم عنه مِثلَ هذا، فالزمه، واستكثِر منه، فإنَّ هذا يُحسِن أن يتكلَّم في العلم]**"[12]. قال: "ثمَّ التقينا بمكَّةَ، فرأيتُ الأوزاعيَّ يجاري أبا حنيفةَ في تلك المسائل، والإمامُ يكشف له أكثرَ ما كتبتُ ثمَّةَ. فلمَّا افترقا، قلت للأوزاعيِّ: كيف رأيتَه؟ قال: **غبطتُ الرجلَ لكثرة علمه ووفور عقله. أستغفرُ اللهَ، لقد كنتُ في غلطٍ ظاهرٍ. الزمه، فإنَّه بخلاف ما بلغني عنه**"[13].

نقل عبدُ اللهِ بنُ المبارَكِ أنَّ الأوزاعيَّ أنكر على أبي حنيفة ابتداعَه دون معرفةٍ مباشِرة به، فلمَّا عرض عليه ابنُ المبارك بعضَ مسائل أبي حنيفة؛ أُعجب بها، وطالب بالتعرُّف إلى مصدرها. ثمَّ بعد التقاءٍ مباشِرٍ بين الأوزاعيِّ وأبي حنيفةَ في مكَّة، تغيَّر رأيُ الأوزاعيِّ تمامًا، وأقرَّ بوفور علم أبي حنيفةَ، وندم على حُكمه الأوَّل فيه.أوضح هذا الأثرُ مسألة مركزيَّةً وهي كيفيَّةُ تأثير الجهل المُسبَق، أو التصوُّر الخاطئ عن الآخَر، في الحُكم عليه ظلمًا وربَّما أفضى إلى تمزيق الصفِّ، بينما المعرفة المباشرة تُحيي معاني الرحمة والعدل والتسامح، و، حتَّى إذا انكشف الحقُّ، تغيَّر الموقفُ جذريًّا. فقد ظهر أنَّ الإمامَ الأوزاعيَّ -رَغمَ منزلتِه العلميَّة- تأثَّر بأقوالٍ سابقة سلبيَّة عن أبي حنيفةَ دون أن يتحقَّق بنفسه. ثمَّ تحوَّل موقفُه عندما اطَّلع على مسائل أبي حنيفةَ، وازداد يقينًا بخطأ رأيه الأوَّل وصواب ما عليه تاليًا، حين التقى بأبي حنيفةَ مباشرةً واطَّلع على علمه وفهمه، ممَّا أدَّى إلى تصحيح رأيه السابق والثناء عليه.يمكن أن نستفيد من ذلك بعدَّة دروس وعِبر، منها ما يأتي:

1. **خطر الحُكم المُسبَق**، فقد حكم الأوزاعيُّ على أبي حنيفةَ بالبِدعة والضلال فقط بناءً على النقل المشوَّه والسماع الذي تحفُّ به تجديفاتٌ كثيرة، مع انعدام خاصيَّة التحقُّق والمعاينة. وهذا يؤسِّس للجهل بحقيقة الآخَر تحت ضغط الإشاعات غير المسؤولة، حيث ينبني عليها تصوُّرٌ خاطئ يفضي إلى ظلم الآخرين، وتحميلهم أوصافًا لا تثبت عليهم، بموجب قوله: "مَن هذا المبتدِع الذي خرج بالكوفة؟". كما ينتج عنها قطيعةٌ وخصومة. لذا وجب التثبُّتُ قبل إصدار الأحكام، ورجحت كِفَّةُ المعاينة والالتقاء، على الاكتفاء بجانب السماع عن الآخر دون السماع المباشر منه.
2. **أهمِّيَّة الاطِّلاع المباشِر على أفكار الآخَر**، لقد استخدم ابنُ المبارك منهجًا عمليًّا، هدف إلى تصحيح نظرة الإمام الأوزاعيِّ المشحونة بشحنات سالبة في حقِّ الإمام أبي حنيفةَ، حيث عمد إلى استثارة الفضول لدى الأوزاعيِّ حين عرض عليه مسائلَ فقهيَّةً مع أدلَّتها وتعليلها، ولم يفصح عن صاحبها إفصاحًا كاملًا، ممَّا جعل الأوزاعيَّ يستروح لها أوَّلًا، ثمَّ يؤاخِذ نفسه ثانيًا على موقفه السلبيِّ من أبي حنيفةَ بعدما تكشَّفت له الحقيقةُ، ولا سيَّما عقب الالتقاء به في مكَّةَ، فتحوَّل من النفور إلى الإعجاب بهذه الشخصيَّة الفذَّة. ما يلفت أيضًا إلى أهمِّيَّة المقابَلة المباشرة بين هذين الفاضلين، واطِّلاع الأوزاعيِّ

بنفسه دون واسطة على اجتهاد الآخَر وآرائه، التي كان لها أبلغُ التأثير في تغيير الصورة النمطيَّة عنده عن الإمام أبي حنيفةَ. ما يؤكِّد أهمِّيَّةَ التواصل المباشِر مع الآخَر، وأنَّه السبيلُ الأوثق للمعرفة العادلة.

3. **تواضع العلماء الكبار**، فرغم فضل الأوزاعيِّ وإمامتِه، لم يحجبه عن أن يتراجع عن خطئه بعد أن ظهرت لديه الحقيقةُ، وانقشعت عنه ظلمةُ الجهل بالآخَر، ولم يصرَّ على موقفه الخاطئ، فتراجع علنًا ولم يكابِر. وسجَّل في تراجعه الصريح فضلَ العالم، وكشف عن أنَّ العلم لا يستقيم مع الكِبْر، فقال: "أستغفرُ اللهَ، لقد كنتُ في غلط ظاهر". لذا أرى هذا الخُلق النبيلَ من أهمِّ أدوات محاربة الجهل بالآخَر.

4. **النزاهة العلميَّة وسلامة النقد ورصانة التقويم تقتضي تحرِّي الحقيقةَ لا الانتصارَ للأهواء**، فبعد التواصُل الحقيقيِّ مع الإمام الأعظم، رأينا كيف وصفَه الأوزاعيُّ بالنباهة ووفور العقل وكثرة العلم. ممَّا يؤكِّد أنَّ المنهجيَّة العلميَّة والعدل يقتضيان الحُكم بناءً على الدليل، لا بناءً على تصوُّرات مشوَّشة. وأنَّ من يفعل ذلك فقد جانَب الصواب، وتسبَّب في خسارة كثير من الحقيقة.

لقد قدَّمَت هذه الواقعةُ نموذجًا حيًّا لكيفيَّة نشوء الجهل بالآخَر، منطويةً على تصوُّرات غير دقيقة، مبنيَّة على النقل السطحيِّ. وقوله: "لقد كنتُ في غلط ظاهر" إقرارٌ واضحٌ بخطر التصوُّر الخاطئ وما ينبني عليه من آثار سيِّئة.كما جسَّدت حادثةُ لقاء الأوزاعيِّ بأبي حنيفةَ أخلاقَ العلماء إذا ما اجتمعوا وتصارحوا، وبيَّنَت أيضًا آليَّةَ تصحيح التصوُّر النمطيِّ من خلال الاطِّلاع المباشر، والانفتاح النفسيِّ والعقليِّ، والاستعداد لمراجعة الأحكام؛ استنادًا إلى صنيع ابن المبارك في قوله: "فأخرجتُ منها مسائلَ من جياد المسائل". فأشار بذلك إلى أنَّ المراجعة العلميَّة تكشف الحقائق المجهولة. وبالنظر في زمننا الحالي، فإنَّ كثيرًا من النزاعات الفكريَّة والطائفيَّة والدينيَّة والاجتماعيَّة، سببها الرئيس هو الجهل المتبادَل بين الأطراف. وحلُّه وتجاوزه ليس بالمتعسِّر لمن صدقت نيَّتُه واستوت مع علانيَّتِه سريرتُه، حيث يكمن الحلُّ في نظري باعتماد الحوار المباشِر في الأروقة العلميَّة، والقراءة من مصادر الآخَر الأصيلة، ومراجعة المختصِّين منهم في الإشكالات حولها، بدل الاعتماد على الوسطاء أو الصور النمطيَّة.يبقى هذا اللِّقاءُ نموذجًا خالدًا لما ينبغي أن يتحلَّى به أهلُ العلم والفضل، من صدق البحث، وشجاعة الاعتراف بالخطأ، والانفتاح والتسامح في التعايش.

ب-موقف الإمام محمَّد الباقر (ت114هـ) من الإمام أبي حنيفةَ:

قال عبد الله بن المبارك: "انطلق أبو حنيفةَ إلى الحجِّ، فلمَّا انتهى إلى المدينة، استقبله محمَّد ابنُ عليِّ بن الحسين بن عليٍّ، فقال لأبي حنيفةَ: **أنتَ الذي حوَّلت دين جدِّي وأحاديثَه بالقياس؟!** فقال أبو حنيفة: مَعاذَ الله أن أفعل ذلك! فقال له أبو جعفر: بل حوَّلتَه! فقال أبو حنيفةَ لأبي جعفر: **اجلِس مكانَك كما يحقُّ لكَ حتَّى أجلسَ كما يحقُّ لي، فإنَّ لك عندي حُرمةً كحرمة جدِّك ﷺ في حياته على أصحابه.**

فجلس أبو جعفر، ثمَّ جثا أبو حنيفةَ بين يديه، ثمَّ قال لأبي جعفر: إنِّي سائلك ثلاثَ كلماتٍ فأجبني:

- الرجل أضعفُ أمِ المرأةُ؟ فقال: بل المرأة. فقال أبو حنيفةَ: كم سهمُ الرَّجلِ. وكم سهم المرأة؟ فقال أبو جعفر: للرجل سهمان، وللمرأة سهمٌ. فقال أبو حنيفةَ: هذا قولُ جدِّك ﷺ، ولو حوَّلتُ دينَ جدِّك لكان ينبغي، في القياس، أن يكون للرجل سهمٌ، وللمرأة سهمان؛ لأنَّ المرأةَ أضعفُ من الرجل.
- ثمَّ قال: الصلاةُ أفضلُ أم الصوم؟ فقال: الصلاة أفضلُ. قال: هذا قولُ جدِّك ﷺ، ولو حوَّلتُ دينَ جدِّكَ، فالقياسُ أنَّ المرأة إذا طهرت من الحيض أمرتها أن تقضي الصلاةَ ولا تقضي الصوم.
- ثمَّ قال: البول أنجسُ أم النُّطفة؟ قال أبو جعفر: البول أنجسُ. قال: فلو كنتُ حوَّلت دينَ جدِّك ﷺ بالقياس، لكنتُ أمرت أن يغتسل من البول ويتوضَّأ من النُّطفة، لأنَّ البول أقذرُ من النُّطفة، **ولكن معاذَ الله أن أحوِّل دينَ جدِّك بالقياس.**

فقام أبو جعفر فعانقه، وألطفه، وأكرمه، وقبَّل وجهَه"[14].

تُظهر هذه الحادثةُ موقفَ الإمام الباقر من القياس، وتحفُّظَه الشديد تُجاه استخدامه في المسائل الدينيَّة، معتبرًا أنَّ القياس قد يؤدِّي إلى تحريف الشريعة عن أصلها. في المقابل أبانت عن دفاع أبي حنيفةَ عن منهجه، حيث وضَّح عدمَ استخدامه القياسَ لتحويل الدِّين عن مساره، لكونه ملتزمًا بما ورد عن النبيِّ ﷺ وعن أهل بيته، بينما يستخدم القياسَ في الأُمور الاجتهاديَّة معقولة المعنى غير التبُّعديَّة التي لا نصَّ فيها، مع مراعاة عدم مخالفة النصوص الشرعيَّة.فكشفت الواقعةُ كيف يمكن للحوار المباشر والتواصل المتبادَل أن يبدِّدا التصوُّراتِ المسبَقةَ، ويقودا إلى الاحترام، وإيجاد مساحة أوسع من التفكير والتنظير، وتصحيح المفاهيم الخاطئة. ذلك أنَّ تصوُّر الإمام الباقر المسبَق عن الإمام أبي حنيفةَ باستخدامه القياسَ بإطلاق، وهو يعلم خطورةَ ما ينطوي عليه هذا المنهج، والمآل الذي يؤدِّي إليه من التلاعب بالشريعة؛ دفعه إلى فتح هذا الحوار الهادئ والرصين مع الطرف الآخَر، الذي بدوره لم يألُ جهدًا في بذل واجب التقدير والاحترام إلى مقام أهل البيت، لعظيم منزلتهم من جدِّهم رسول الله ﷺ، وأنَّهم أُمناءُ على هذا الدِّين، ثمَّ أن يفسِّر موقفه ويوضِّح حقيقةَ منهجِه الأصوليِّ، في تكييف المسائل الفروعيَّة، وتطبيق القواعد العلميَّة في استنطاق النصوص واستنباط الأحكام. فلمَّا استوثق الباقرُ من أبي حنيفةَ وبانت له الحقيقةُ؛ أقرَّه على منهجه، وصحَّح النظرةَ المغلوطة عنه.

ويمكن تلخيص صور الجهل بالآخَر هنا في أمرين:

1. **الافتراضات المسبَقة**، حيث افترض الإمامُ الباقر أنَّ الإمام أبا حنيفةَ يستخدم القياسَ لتحريف الدِّين، دون التحقُّق من منهجه الفقهيِّ الفعليِّ.
2. **سوء الفهم المنهجيِّ**، الحاصل من عدم التمييز بين استخدام القياس، كأداةٍ اجتهاديَّة ضمن ضوابط شرعيَّة، وبين تحريف النصوص الشرعيَّة.

وتعود أسباب هذا الجهل بالآخَر إلى جملة عوامل منها:

1- **اختلاف المنهج الأصوليِّ في استنباط الأحكام**، وما نجم عنه من تبايُن في المذاهب الفقهيَّة بين أهل الحديث وأهل الرأي، ممَّا يؤدِّي أحيانًا إلى سوء فهم الآخَر، كما هو الحال في موقف الإمام الشافعيِّ من الاستحسان الذي عمل على نقضه وصنَّف في إبطاله، وقال فيه مقولتَه التي سارت بها الرُّكبان: "مَنِ استحسن فقد شرَع"، "وإنَّما الاستحسان تلذُّذٌ"[15]. حملًا منه للاستحسان على معنًى مغايرٍ لمفهومه عند الحنفيَّة. ومع إنعام النظر في مسائله وفروعه؛ تبيَّن أنَّه مَحطُّ وفاقٍ لدى المذهبين، مع اختلاف في مدى الاعتماد عليه ونسبة الأخذ به، فعاد الخلافُ لفظيًّا وارتفع[16]. ومتى حُرِّر المرادُ بالمفاهيم والمصطلحات زال التشنيع، لذا قال الآمديُّ: "لا بُدَّ، قبلَ النظرِ في الحِجاج، من تلخيص محلِّ النزاع، ليكونَ التوارُد بالنفي والإثبات على مَحزٍّ واحد"[17].

2- **نقص التواصل وقلَّة الالتقاء والاختلاف إلى بعضهما بعضًا**، فقلَّةُ الحوار المباشر بين العلماء من مختلَف المذاهب تؤدِّي إلى ترسيخ الصورة النمطيَّة، وتفسح في المجال أمام الموترين للتحريش بينهم وبثِّ السموم المغرضة أو إثارة وجه من الحقيقة والتعمية عليها في كمالها فتخرج مشوَّهةً بينهما. لذا تيقَّظ لهذا الإمامان الشافعيُّ وأحمد بن حنبل، فلم ينقطعا عن زيارة بعضهما، على موجب ما كتب الأوَّلُ للثَّاني:

قالوا يزورك أحمد وتزوره ... قلت الفضائل لا تفارق منزله
إن زارني ففضله أو زرته ... فالفضل فالفضل في الحالين له

فأجابه الإمام أحمد:

إن زرتنـــا فبفضـــل منـــك تمنحنـــا أو نحـــن زرنـــا فللفضـــل الـــذي فيكـــا
فـــلا عَـــدِمنا كـــلا الفضـــلين منـــك ولا نـــال الـــذي يتمنَّـــى فيـــك شـــانيكا(18)

ومرض الإمام الشافعيُّ فعاده أحمدُ، ثمَّ مرض أحمدُ فعاده الشافعيُّ، فقال أحمدُ:

مـــــرض الحبيـــــبُ فعدتـــــه فمرضـــــتُ مـــــن حزنـــــي عليـــــه
بـــــرئ الحبيـــــبُ فعـــــادني فبرئـــــتُ مـــــن نظـــــري إليـــــه(19)

المبحث الثَّالث
صور الجهل بالآخَر وآثاره

الفكر الإنسانيُّ عمومًا في تطوُّر دائم كإنسان آخِذٍ بالنموِّ أبدًا. والآخَر بما يحمل من تاريخ وثقافة ومُقوِّمات صمود وبقاء، ليس حالةً جامدةً وإلَّا فات عليه الزمنُ ووقف في ماضٍ سحيق. لذا من الخطأ البالغ محاكمتُه وفق اجتهادات سابقة، دون لحظ حيثيَّات الحاضر، ولا سيَّما عندَ الطائفة الشيعيَّة التي ترى فتحَ بابِ الاجتهاد لمن ملك أدواتِه وشروطَه، وأنَّه ضرورةٌ مجتمعيَّة بل تكليف شرعيٌّ. وبالتالي يشكِّل الجهلُ بهذه الركيزة أساسًا لا محيصَ عنه في الوقوع بسلسلة من الجدليَّات والتكييفات التي لا تعكس حقيقة الموقف المتجدِّد لديهم. وهذا يدفع بنا إلى تبيان صور الجهل بالآخَر وآثاره، على الوجه الآتي:

أ- صور الجهل بالآخَر:

يمكن حصرُ صور الجهل بالآخَر في نقاط ثلاثة، هي:

1. **الجهل المعرفيُّ**، المتشكِّل من نقص في المعلومات، أو الوقوع في مغبَّة معلومات مغلوطة ثمَّ تسويقها أيضًا، أو الظنِّ بانعدام القواسم المشترَكة، وتاليًا تعذُّر التعاون عليها. كمسألة الخلافة التي يشغِّب فيها بعضُ الموتورين الذين يتَّهمون الصحابة بالاستيلاء عليها، وبالتالي تتكوَّن لدى أهل السنَّة صورةٌ نمطيَّة عن الشيعة، بينما يُثبت الشيخ أحمد مغنية أنَّ "الشيعة لا يُنكِرون خلافةَ الخلفاء لأنَّ عليًّا لم يُنكر"، وأكَّد أنَّ اتِّهامَ الشيعة بالانحراف عن الخلفاء افتراء وظلم وجور عليهم، ويعزو ذلك إلى كون عليٍّ عندهم مفروضُ الطاعة، "ومعنى إنكارهم وانحرافهم عن الخلفاء إنكار وانحراف عن عليٍّ نفسه". ثمَّ برَّأ ذِمَّة الشيعة من أيِّ "ذنب فيما تقوَّل عليهم المتقوِّلون ودسَّ عليهم الدسَّاسون". وفنَّد حالةَ الشذوذ لدى بعضهم ويعزوها إلى "جهله، أو لغرض دسيسة أجنبيَّة"، ثمَّ رمى مَن فعل ذلك بالإساءة "لنفسه قبل أن يسيء إلى المذهب". وفيما يتعلَّق بموقف أئمَّة المذهب الجعفريِّ من أئمَّة المذاهب المتبوعة، أوضح مغنيةُ أنَّهم كانوا يعيشون مع بعضهم بتقديرٍ وحُبٍّ واحترام، أضاف: "وقد كانت العَلاقة بينهم علاقةَ مُعلِّمٍ وتلميذ مرَّةً، وعَلاقةَ إمامٍ مع أئمَّة صالحين مرَّاتٍ"[20].
2. **الجهل القِيميُّ**، الناتج عن سوء تقدير الآخَر، وعدم احترامه رغم تقديماته الثرَّة سواء في الجانب الفكريِّ، أو مساعي مقاومة الاحتلال وبثِّ روح النصر تحت راية "إسرائيل شرٌّ مطلَق، والتعاملُ مع إسرائيل حرام"، أو الدفاع العلميِّ عن رسالة الإسلام في مواجهة العولمة والإلحاد والاستشراق وقوى الاستكبار العالميِّ، وضرب هذه الإنجازات بعضها ببعض.
3. **الجهل السلوكيُّ**، المنطوي على التعامل العدائيِّ أو المتعالي مع الآخَر، ومحاولة إقصائه على الدوام وبصورة تهميشيَّة تهشيميَّة، معبَّأة بكثير من أحداث الماضي، والإبقاء على استصحابها في الذاكرة الجمعيَّة للأمَّة كأنَّها وليدةُ الساعة، دون النظر إلى المواقف المعاصرة منها.

من جهةٍ أعمقَ، إنَّ الجهلَ بالتنوُّع الداخليِّ للطائفة الشيعيَّة، أوقَع في كثير من الضبابيَّة والحيف، وفي قليل من التصوُّر الصحيح والحقيقة الكاملة والإنصاف. فليس في الواقع شيءٌ يُدعى "الشيعة" وكفى، بل هناك أطيافٌ ومذاهبُ ومدارسُ، لكلٍّ منها تجربتُه وفكرُه وأصوله ومنظّروه.

ويمكن تتبُّعُ هذه الجزئيَّةِ في النقاط الثلاثة الآتية:

1- تصوير الشيعة كتلةً واحدةً دون تمييز:

تصوير الشيعة بأنَّهم كتلةٌ واحدة موحَّدة من الأفكار والآراء، لا اختلافات بينهم، هو عملٌ منافٍ للواقع الدِّينيِّ والاجتماعيِّ والسياسيِّ، لا سيَّما لجهة عدم لحظ جانب الحركة التصحيحيَّة التي قام بها عددٌ من المجتهدين والمفكِّرين والكُتَّاب الباحثين المبرَّزين لمسائل كثيرة؛ كآية الله محمد الخالصي (ت1343هـ/1963م)، والدكتور علي شريعتي (ت1397هـ/1977م)، والسيد موسى الصدر (اختفى 1978م)، والفيلسوف مرتضى مطهري (ت1399هـ/1979م)، وآية الله أبي الفضل البرقعي (ت1412هـ/1992م)، والدكتور موسى الموسوي (ت1417هـ/1996م)، والإمام محمد مهدي شمس الدين (1421هـ/2001م)، وآية الله محمد حسين فضل الله (1431هـ/2010م)، والسيد هاني فحص (1435هـ/2014م). وتفريق ثلَّة كبيرة بين "التشيُّع العلويِّ والتشيُّع الصفويِّ". ومراجعات معاصريهم لكثير من أدبيَّات المذهب ومباني الشيخ المفيد (ت413هـ) كالسيِّد علي الأمين والأستاذ أحمد الكاتب والسيِّد كمال الحيدريِّ وغيرهم الكثير.

إنَّ الجهل بهذا الجانب أفضى إلى توحيد الصورة تُجاههم، وهي صورة نمطيَّة بلا شكٍّ، وهي أقربُ إلى الجهل بهم من معرفتهم. وإنَّ تجاهلَ هذا التنوُّع يؤدِّي إلى ظلم فكريٍّ وممارسات تمييزيَّة مغذِّية، لا محالةَ، للنزاعات الطائفيَّة.

2- تجاهل التنوُّع الداخليِّ والاجتهاد الفقهيِّ لدى الشيعة:

تجاهل التنوُّع الداخليِّ، وإغفال وجود المدارس والاجتهادات الفقهيَّة العديدة؛ كمدرسة النجف ومدرسة قُم وغيرهما، كما التنوُّع الفكريِّ الكلاميِّ بين الاثني عشريَّة والزيديَّة والإسماعيليَّة في قضايا الإمامة، وعدد الأئمَّة، والخروج على الحاكم الجائر، وإمامة المفضول مع وجود الفاضل، والبداء وسواها، حيث لكلٍّ من هذه الفرق رؤًى عقديَّة وفقهيَّة وسياسيَّة خاصَّة. حتَّى داخلَ المدرسة الإماميَّة الاثني عشريَّة، يوجَد تباينٌ في الاجتهادات بين المراجع أنفسهم، سواءً في إيران أو العراق أو لبنان أو الخليج. وبما أنَّ باب الاجتهاد عندهم مفتوحٌ، وله مراجع تقليد متعدِّدون، لكلِّ واحدٍ رأيُه الفقهيُّ المستقلُّ الناتج عن بحثه واجتهاده، سواء تلاقى مع الآخَر أو تقارَب معه أو اختلف بالكليَّة. لذا قد تختلف فتاوى السيِّد السيستانيِّ عن فتاوى الإمام الخمينيِّ، وقد تختلف اجتهاداتُ المرجع فضل الله عن اجتهادات المرشد الخامنئيِّ، وقد تختلف رؤى السيد علي الأمين ومواقفه عمَّن سواه بحسب ما أدَّاه إليه نظرُه العلميُّ وقراءاته للتاريخ مقرونةً بحيثيَّات الواقع والمتوقَّع. فليس ثمَّةَ مرجعيَّةٌ واحدة تُلزم الجميعَ، بل إنَّها اجتهاداتٌ متعدِّدة في الفقه والسياسة والاجتماع. ويجعل الجهلُ بهذا التنوُّع بعضَ الخطابات تتعامل مع الشيعة كأنَّهم جبهةٌ موحَّدةٌ دينيًّا وسياسيًّا، ممَّا يزيد سوءَ الفهم وسوء التقدير.

3- ربط الشيعة دومًا بمواقفَ سياسيَّةٍ معاصرة:

انتزاع الشيعة من عمقهم العربيِّ وإيمانهم بوطنهم، وربطهم دومًا، ككتلة واحدة، بمواقفَ سياسيَّةٍ معاصِرة، ثمَّ اختزال هُويَّتهم العربيَّة بقوى وأحزاب سياسيَّة آنيَّة، دونَ وعيٍ بتراكمهم التاريخيِّ، وتجاهل البُعد الاجتهاديِّ والثقافيِّ المتنوِّع لديهم، فضلًا عن الخلط بين ولاية الفقيه وولاية الأُمَّة على نفسها والشورى؛ سببٌ مباشر في رسم الصورة النمطيَّة، والاستعداء لجمهور واسع ربَّما يُشكِّل السوادَ الأعظم في بعض المحلَّات! ففي لبنانَ، مثلًا، تجد الشيعةَ موزَّعين بين مواقفَ عدَّةٍ؛ بعضُهم مع "حزب الله"، وبعضُهم مع "حركة أمل"، وآخَرون معارِضون لهما كالسيِّد علي الأمين، والشيخ ياسر عودة.

لذا فالطائفةُ الشيعيَّةُ ليست حزبًا سياسيًّا واحدًا، ولا رؤية سياسيَّة واحدة، أو عقيدةً أيديولوجيَّةً واحدة. بل فيها تنوُّعٌ ثرٌّ كالذي يوجد في أيِّ مُكوِّن ثقافيٍّ- اجتماعيٍّ آخَر. لقد جاء في مقابَلةٍ خاصَّةٍ لـ"اندبندنت عربية"، أجراها طوني بولس مع العلَّامة السيِّد علي الأمين، تأكيدُه أنَّ الشيعةَ في العالَم العربيِّ ينتمون بالدرجة الأُولى إلى بلدانهم وشعوبهم، ولا يمكن أن يُعتبَر حزبٌ أو جماعةٌ ممثِّلاً لفئة دينيَّة بأكملها، ولا يصحُّ أن يَختزل حزبٌ طائفةً عريقة وعريضة ويجعلها ذات رأي موحَّد، وعمومًا أبناءُ الطائفة الشيعيَّة مرتبطون بأوطانهم ودولهم وشعوبهم، وهذا ما يجب أن يكون عليه الأمرُ، لذلك نرفض أن يكون هناك ارتباطٌ خارجَ حدود الوطن بأيِّ مشروعٍ سياسيٍّ"[21].

ب-آثار الجهل بالآخَر:

بما أنَّ "النظر في مآلات الأفعال معتبَرٌ مقصودٌ شرعًا؛ كانت الأفعالُ موافقةً أو مخالفةً"[22]، على حدِّ تعبير الشاطبيِّ (ت790هـ)، فإنَّ الجهل بالآخَر يتسبَّب، بلا أدنى شكٍّ، بحدوث آثار كارثيَّة تحيط بالمجتمع والوطن، من كلِّ حدب وصوب، لأنَّ المرءَ عدوُّ ما يجهل، وفاقدُ الشيء لا يعطيه، ولربَّما أسهم في نقيضه، لأنَّ الحُكمَ على الشيء فرعٌ عن تصوُّره، لذا قال الغزاليُّ: "ردُّ الشيء قبل فهمه محالٌ"[23].

ويمكن تصنيفُ آثارِ الجهل بالآخَر وَفق المهدِّدات الآتية:

1. **خلق بيئات عدوانيَّة**، وتصوُّرات خاطئة، وأحكام مسبَقة، تتحوَّل إلى مشاعر سلبيَّة، تنشر الشكَّ، وتُظهِّر خطابَ الكراهية، وتؤجِّج الخلاف، وتغذِّي النزاعاتِ المذهبيَّةَ، الآيِلةَ بلا هوادة إلى صراعات دمويَّة وأعمال عنف وإرهاب، تحت ذريعة القضاء على الآخَر للفوز بالجنَّة، وتحميل الكلِّ وزرَ البعض، والله تعالى يقول: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) [الأنبياء: 47].
2. **عرقلةُ فرص التعاون والشراكة**، وتعطيل مشاريع الوحدة، وتقويض مقوِّمات التنمية والاستقرار، ما يدفع بعجلة الحياة والنموِّ إلى القهقرى والتقهقر. وهذا أمر واضح ومعاش في مختلف المجتمعات التي تصَّعَّدت فيها وتيرةُ الخلاف الطائفيِّ والمذهبيِّ، وانعكاساته السلبيَّة على الحياة اليوميَّة والاستحقاقات؛ كالانتخابات الاختياريَّة والبلديَّة بله النيابيَّة، ومشاريع الخدمات والإنماء، وانعدام توظيف الكفاءات وأصحاب الشهادات وذوي الاختصاصات. ولربَّما تسبَّب في إحداث نزاع وشقاق بين الزوجين والأُسرة والعائلة والجيران وزملاء العمل، إلخ. بينما الحقُّ تعالى يقول: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [المائدة: 2].

المبحث الرَّابع

اجتهادات السيِّد علي الأمين في مواجهة الجهل بالآخَر ودورها في دعم التنمية المستدامة

العلَّامة المجتهد السيِّد علي حسن الأمين، فقيهٌ مجتهدٌ وعالِم شيعيٌّ لبنانيٌّ معتدل. يُعدُّ من الأصوات الجريئة الداعية إلى التقريب بين المسلمين، واعتبره المفكِّرون والباحثون والنقَّادُ ثائرًا، وممثِّلًا للحقيقة الناصعة، وصوتَ الحقِّ والعقل المغيَّب، والمتنوِّر الصادق، وإطفائيَّ حرائقِ الطائفيَّة، والمجدِّدَ المعتدلَ المتسامح، وعرَّابَ التقريب بين المذاهب، وصوتَ الاعتدال وداعيةَ التضامن، وناقدَ التأزيم الطائفيِّ[24].رفض حصر الطائفة الشيعيَّة بمشروعٍ سياسيٍّ واحد أو حزب محدَّد. وأكَّد أنَّ الشيعةَ مُكوِّنٌ دينيٌّ متنوِّع، لا يجوز تصنيفُه وَفقَ الاصطفافات السياسيَّة. وقد **أبرزَت اجتهاداتُ السيِّد الأمين أهمِّيَّةَ التصحيح المعرفيِّ لصورة الآخَر المذهبيِّ، وضرورةِ الوعي بالتنوُّع داخلَ الطوائف الدينيَّة، بوصفه شرطًا أساسًا لتحقيق الاستقرار الاجتماعيِّ والتنمية المستدامة**. ففرَّق مثلًا بين مفهوم الإمامة الدينيَّة ومفهوم الإمامة السياسيَّة، كما غاير بين وظيفة كلٍّ منهما[25]، وأوجَب إحسانَ الظنِّ بالمسلمين،

ومنَع التنابُزَ بالألقاب، ودلَّ على المعنى الحقيقيِّ للطائفة المختلف تمامًا عن الصورة النمطيَّة المنطبعة في أذهان الآخرين[26].

وقدَّم نموذجًا متميِّزًا لكيفيَّة مقاومة الجهل المذهبيِّ وتبعاته السلبيَّة. دلَّت على ذلك مسيرتُه الاجتماعيَّة وخطابُه السياسيُّ وتراثُه العلميُّ والفكريُّ، حيث خلاصةُ تجربتِه في الحياة، ورؤيتُه للنهوض بالأُمَّة على أساسٍ من الانفتاح والحوار وتقبُّل الآخَر. ويمكن تأكيدُها من خلال عناوين بعض مؤلَّفاته فضلًا عن التعمُّق في مضمونها، أعرضها وَفق ترتيب صدورها:

1. ميلاد السيد المسيح والتعاليم المشتركة بين المسيحية والإسلام (ط1، 1991م).
2. دولة الطائفة أو دولة الإنسان؟ (ط1، 1995م).
3. حوار الأديان (ط1، 2000م).
4. وهل يخفى القمر: العيد الضائع بين الرأي والرؤية (ط1، 1429هـ/2008م).
5. زبدة التفكير في رفض السبِّ والتكفير (ط1، 2009م).
6. السنَّة والشيعة أمَّة واحدة إسلام واحد واجتهادات متعدِّدة (ط1، 1432هـ/2011م).
7. الأحزاب الدينيَّة بين طموحات السلطة ودور الأئمَّة (ط1، 2011م).
8. ولاية الدولة ودولة الفقيه (ط1، 2011م).
9. خطاب الاعتدال في مواجهة ثقافة التطرُّف والإرهاب (ط1، 1437هـ/2015م).

وفي ضوء ما سبق، فإنَّ اجتهاد السيِّد علي الأمين قائمٌ على الوعي بثلاثيَّة تاءات التديُّن والتعدُّد والتمثيل، لجهة تأكيدِ أنَّ الانتماءَ الدِّينيَّ لا يعني التبعيَّةَ السياسيَّة، والتنبيهِ إلى غنى التعدُّديَّة داخلَ الطائفة الشيعيَّة نفسِها، وانتقادِ احتكار التمثيل الشيعيِّ من قِبَل قوًى سياسيَّة محدَّدة.

جاء في رسالته إلى اللُّبنانيين، بعد تأكيده إيمانَ الطائفة الشيعيَّة بالعيش المشترَك، قولُه: "إنَّ دولة المؤسَّسات والقانون ليست انعكاسًا لرؤيةٍ أيديولوجيَّة خاصَّة بطائفة أو حزب أو جماعة، خصوصًا في المجتمعات المختلَطة والمتعدِّدة، كما هو الحال في لبنانَ البلدِ المتعدِّد الطوائف، الذي تنبثق فيه فكرةُ الدولة، وتنشأ من خلال عَقد اجتماعيٍّ بين جميع الفئات، تتكرَّس ميثاقًا وطنيًّا يتجاوز الأُطرَ الضيِّقةَ والنظرات الأحاديَّة. وقد التزمت بهذا العقد الاجتماعيِّ كلُّ الطوائف اللُّبنانيَّة على اختلاف مذاهبها وأديانها، بما في ذلك الطائفة الشيعيَّة منذ قيامة لبنان. ولا يزال هذا الأمرُ أساسًا يحظى بإجماع اللبنانيين من كلِّ الطوائف. وهو اليومَ أكثرُ رسوخًا وثباتًا في نفوسهم وقناعاتهم، وهم اليومَ أكثرُ تمسُّكًا به كثابتٍ من ثوابت لبنان الوطن النهائيِّ الذي لا يتبدَّلُ مهما تغيَّرت الظروفُ وتبدَّلت الأحوال". ثمَّ يصطحب في طيَّات حديثه، عن مشروع الدولة المسؤولة وحدها عن الشعب والوطن، موقفَ الإمام موسى الصدر "الذي أعطته الطائفةُ الشيعيَّة التأييدَ على أساسه، لما فيه من تأكيدٍ للوحدة الوطنيَّة التي تتعاظم قوَّتُها، وتزدهر إمكاناتُها، من خلال مشروع الدولة الواحدة"[27].وقد شدَّد العلَّامة الأمين، في لقاء خاصٍّ أجرته معه جريدةُ "أمم للتوثيق والأبحاث"، حول مستقبل الطائفة الشيعيَّة وعَلاقتها بباقي الطوائف، أنَّ الحلَّ يكمن في الالتزام بلبنان كوطنٍ نهائيٍّ، والدولة كمرجعيَّة وحيدة. وأكَّد ضرورةَ استقلاليَّة الطائفة عن أيِّ وصاية حزبيَّة، داعيًا الأحزابَ السياسيَّة إلى تبنِّي مشاريعَ وطنيَّةٍ تشمل حاجاتِ جميع المواطنين. وقال: "الطائفة الشيعيَّة أكبرُ من أيِّ حزبٍ أو زعيم، وما تحتاجه اليومَ هو العودةُ إلى مشروع الدولة الواحدة، التي تحمي الجميعَ، وتحافظ على وحدة لبنانَ"[28].

هنا يظهر اجتهادُ السيِّد الأمين كنموذجٍ عمليٍّ لمواجهة الصورة النمطيَّة عن الطائفة الشيعيَّة في لبنانَ، ودعوةِ الآخَر إلى فهمها بحسب هذه الرؤية الناضجة، القائمة على الانفكاك من قيد الارتباط بأيِّ مشروعٍ إقليميٍّ يعود بالخراب والدمار على الوطن وأهله، والمنطلقة من وسطيَّة الإسلام واعتدال رسالته في دعوتها الآخَر، ممَّا يهيِّئ بيئةً ثقافيَّةً ضروريَّةً لتحقيق التنمية.

ويمكن الإفادةُ من اجتهادات الأمين في تحقيق التنمية المستدامة، لكونها تخلق أرضيَّةً خِصبةً للسلم الأهليِّ بل السلام العالميِّ، من خلال كسر الأحكامَ المسبَقة التي تضع الطوائف في قوالبَ جامدةٍ وتفكيك الصورة النمطيَّة وتعديلها. فضلًا عن تبنِّيه خطابَ الاعتدال والانفتاح ونشره إيَّاه في مختلف المحافل العلميَّة والدعويَّة التي دُعي إليها.بناءً على ما سبق أُوجز منهجَ السيِّد الأمين في التوعية بالحقيقة التي ينبي أن تكون عليها الطائفة الشيعية، وفق الآتي:

رفضُ التصنيفِ الأحاديِّ للطوائف، حيث شدَّد السيِّد علي الأمين على أنَّ الانتماء إلى مذهب أو طائفة دينيَّة، لا يعني الاصطفافَ السياسيَّ أو الحزبيَّ، وأنَّه لا يجوزُ اختزالُ الطوائف الدينيَّة في خياراتٍ سياسيَّة أو عسكريَّة، بداعي أنَّ الطائفةَ كِيانٌ دينيٌّ متنوِّع.

بيان التعدُّديَّة داخلَ المذهب الشيعيِّ، حيث أوضح السيِّد علي الأمين أنَّ الطائفةَ الشيعيَّة ليست كتلةً صمَّاء، بل تضمُّ اجتهاداتٍ ومدارس متعدِّدة في الفقه والفكر والسياسة. وبيَّن أنَّ اختلافَ الرأي ظاهرةٌ صحِّيَّةٌ داخلَ الطائفة وليست مظهرًا للانقسام.

تحرير المذهب من الصراعات السياسيَّة، حيث رفض الأمين استخدامَ المذهب الشيعيِّ ذريعةً في النزاعات السياسية، أو وسيلةً للهيمنة على المجتمعات الأخرى، بداعي أنَّ المذهب الدِّينيَّ لا يُختصَر في تنظيمات عسكريَّةٍ، ولا في طموحات سياسيَّة، بل هو اجتهادٌ دينيٌّ يسعى إلى خدمة الإنسان.

دعم السلم الأهليِّ، حيث ساهم السيِّد علي الأمين، من خلال دعوته إلى قَبول التعدُّديَّة والاختلاف داخلَ الطائفة وخارجَها، في ترسيخ ثقافة العيش المشترَك، ما يُعتبَر شرطًا جوهريًّا لأيِّ سلمٍ أهلي مستدام.

تحقيق بيئة ملائمة للتنمية، حيث دعا السيِّد الأمين إلى احترام التعدُّد، والانفتاح على الآخَر والتعريف بآراء الطائفة من منظور القرآن الكريم، ليرفع عنه جهله بحقيقة المذهب، وعدم استخدام الدِّين لتبرير الإقصاء أو العنف. وبرز ذلك أكثر فأكثر في الأزمة اللُّبنانيَّة المتفاقمة، حيث شكَّلت مواقفُ السيِّد علي الأمين مرجعًا للخطاب المعتدل، بانتهاجه دائمًا مبدأ نبذ العنف الطائفيِّ، والدعوة إلى الانفتاح على جميع مُكوِّنات المجتمع دون تمييز أو تحامُل مذهبيٍّ. وبذلك يكون قد وضع أُسسًا معرفيَّة وثقافيَّة داعمة للتنمية المستدامة، لأنَّ التنمية لا تتحقَّق إلَّا في بيئة يسودُها الاستقرارُ والانفتاح على الآخَر.

استنادًا إلى ما تقدَّم، يمكن القولُ: إنَّ اجتهاداتِ العلَّامة السيِّد علي الأمين تُقدِّم نموذجًا عمليًّا لتجاوز الجهل بالآخَر، وتكشف أنَّ التصحيحَ المعرفيَّ للعَلاقات بين الطوائف ركيزةٌ رئيسةٌ لبناء أوطانٍ مستقرَّة قابِلَة للنهوض الاقتصاديِّ والاجتماعيِّ، بما ينسجم تمامًا مع أهداف التنمية المستدامة.

المبحث الخامس

مقترَحات في معالجة أدواء الجهل بالآخَر

يفضي الجهلُ بالآخَر إلى سوء الفهم، وينتج عنه توتُّراتٌ بين المذاهب الإسلاميَّة، ممَّا يعيق الوحدةَ والتعاون، وينعكس سلبًا على الاستقرار الاجتماعيِّ والسياسيِّ، ممَّا يُعيق جهودَ التنميةِ المستدامة.

تكمن معالجةُ الجهل بالآخَر من خلال توعية المجتمعات والشعوب والأُمَّة، بأهمِّيَّة التعارف والتعرُّف إلى المسلم الآخَر، في ضوء تصنيف المقترَحات إلى وقائيَّة وعلاجيَّة، على الوجه الآتية:

أ- المقترَحات الوقائيَّة:

1. **توعية الجماهير المسلمة باحترام التعدُّديَّة وتنشئتهم عليها**، وتحذيرهم من المخاطر المتشكِّلة من العدائيَّة والكراهية، بموجب قوله تعالى الحاضّ على الوحدة والتوافق: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [آل عمران: 103].
2. **تعزيز الوعي بالحوار البنَّاء وتفعيل منصَّاته بين أرباب المذاهب**، وتشجيع اللِّقاءات العلميَّة والمباحثات الفقهيَّة بين المرجعيَّات التأثيريَّة في المسلمين، للتعارف الصادق وتبادل الرؤى. وإنَّما

شرطتُه بالمرجعيَّات التأثيريَّة لئلَّا تُفرَّغ النقاشاتُ من مضمونها، وتتحوَّلَ إلى صراعات، وتصبح مجرَّد تكرار لمناظرات مشابهة سابقة، ضرَّت ما نفعت، بموجب قوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [النحل: 125].

3. **تطوير المناهج التعليميَّة بإدخال مقرَّرات لتعزيز ثقافة التعدُّديَّة** لتنشئة أطفال المسلمين عليها منذ الصغر، تضمُّ المُسلَّماتِ ومواضعَ الاتِّفاق، وتُعرِّف بالمدارس الفقهيَّة المختلفة وتاريخها وأصولها، وتؤصِّل لأدب الاختلاف والتنوُّع، قال تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [آل عمران: 164]، وتُظهر جهودَ النبيِّ ﷺ في العمل لهذه الأُمَّة، التي أثمرَت في حياته غرسًا برزت فضائلُه في أصحابه وأهل بيته، ثمَّ في التابعين وأتباعهم بإحسانٍ إلى يوم الدينونة، مصداقَ الحديث الولويِّ: "لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي يقاتِلون على الحقِّ ظاهرين إلى يوم القيامة. فينزل عيسى ابنُ مريمَ عليه السلام فيقول أميرُهم: تعالَ صلِّ لنا. فيقول: لا، إنَّ بعضَكم على بعض أُمراءُ، تَكرِمةَ اللهِ هذه الأُمَّةَ"[29].

4. **مكافحة المعلومات المُضلِّلة والتضليليَّة**، وما يُكتسَب عنها من الصور النمطيَّة المشغِّبة على الآخَر والناقصة لأُسس التعايش السلميِّ، قال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) [آل عمران: 159].

5. **تجريم طباعة وتصدير وتبادل الكتب والنشرات** الحاملة على بثِّ النعرات، والتمييز ضدَّ الآخر، والترويج لخطاب الكراهية.

6. **منع الإطلالات المتلفزة المغرِضة**، وحظر المقاطع الفيديويَّة ونحوها، الباعثة على إثارة الفتنة، أو التشهير بالآخَر، والتعرُّض بالسوء للرموز والمقدَّسات.

ب- المقترحات العلاجيَّة:

1. **استخدام وسائل الإعلام النزيه**، لما له من دورٍ حقيقيٍّ في تصحيح الصورة النمطيَّة، ونشر الرسائل التنويريَّة لا الاستقطابيَّة، ومناهضة العنصريَّة والتعصُّب، ونشر الوعي بالتنوُّع المذهبيِّ، وبيان أهمِّيَّة التفاهم والاحترام المتبادل، وبناء جسور من التفاهم والتقارب.

2. **طباعة الكتب ونشر المطويَّات** الحاضنة للأُمَّة، واحترام التعدُّديَّة، والباعثة على تعميم الفكر التصالحيِّ بين أبنائها، وعقد المؤتمرات لهذا الغرض، وتحفيز الباحثين للإسهام فيه.

3. **تشجيع أهل الحلِّ والعَقد والمرجعيَّات الدينيَّة والسياسيَّة**، على احتواء أيِّ خلافٍ أو مشكل حاصل، بسبب الجهل بالآخَر، أو صادر عن مطلق ظرف أو حالة معيَّنة، وعدم تعميم أسبابها ونتائجها، بل التعامل معها كواقعة عينٍ لا عمومَ لها.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث، أخلص إلى عرض أهمِّ النتائج، مشفوعةً بأبرز التوصيات، وبعض المقترحات العلميَّة، وفق الآتي:

أ- أهمُّ النتائج:

1. الجهل بالآخَر عدوُّ التنمية المستدامة. ومعرفة الآخَر وفهمُه وقَبولُ التنوُّع، شرطٌ أساسٌ لتحقيق السلام والعدالة. وهذه كلُّها أهدافٌ مركزيَّةٌ في أجندة التنمية المستدامة لعام 2030.

2. للجهل بالآخَر آثارٌ سلبيَّة في المجتمع الإسلاميِّ، منها: تفتيتُ الوحدة الوطنيَّة، وإذكاءُ الفُرقة الطائفيَّة ونشر الكراهية، وإضعاف السِّلم الأهليِّ والأمن المجتمعيِّ، وتعطيلُ المشاريع التنمويَّة وتقويض الثقة الاجتماعيَّة اللازمة لأيِّ مشروعٍ ثقافيٍّ- اجتماعيٍّ مستقبليٍّ.

3. حالةُ الجهل بالشيعة تُعدُّ نموذجًا حيًّا لهذه الظاهرة، بما تحمله من تصوُّرات خاطئة، واتِّهاماتٍ غيرِ مؤسَّسةٍ عِلميًّا، ممَّا أدَّى إلى تعميق الفجوة بين أبناء الأُمَّة الواحدة.
4. إنَّ ربط الشيعة دومًا بسياساتٍ معيَّنة يصنع صورةً نمطيَّة ظالمة، ويقود إلى نزاعات مفتعلة بدلًا من فهم الواقع بموضوعيَّة. والجهل بهم يؤدِّي إلى اختزالٍ ظالم، وتجاهُلٍ للواقع الاجتهاديِّ الداخليِّ، وتحميلِ طائفةٍ كاملةٍ تبعاتِ مواقفَ سياسيَّةٍ جزئيَّةٍ.
5. التجارب الفكريَّة المنفتحة، كاجتهاداتِ السيِّد علي الأمين، تُمثِّل نموذجًا عمليًّا للتقريب بين المذاهب، والمساهمة في نهضة المجتمعات. وقد ظهرت ملامحُ اجتهاداته في رفع الجهل بالآخَر من خلال الآتي: الدعوة إلى الانفتاح والتركيز على المشترَك الدينيِّ والوطنيِّ، وتحفيز الحوار ورفض التعميمات الخاطئة بحقِّ المذاهب المختلفة، والتأكيد على تعدُّد الاجتهادات داخلَ الطائفة الشيعيَّة وأنَّ الخلافات الفقهيَّة لا تعني العداوة السياسيَّة، ورفض احتكار المذهب من قِبَل أحزاب أو تيَّارات سياسيَّة وإرساء ثقافة الاعتراف بدل الإلغاء، ودعم فكرة المواطَنة الجامعة بدلَ الانتماءات الضيِّقة وتقديم نموذجٍ للخطاب المعتدل الذي يخدم الأُمَّةَ بأسرها.
6. إنَّ التنمية المستدامة لإرساء دعائمها، ولتجاوز مرحلة الجهل بالآخَر، وتحقيق الاستقرار؛ تتطلَّب ما يأتي: التصحيح المعرفيَّ والانفتاح الثقافيَّ من خلال نشر الوعي بالآخَر عبر طرق آمِنةٍ، ودعم ثقافة الحوار والعيش المشترَك وبناء شبكات الثقة بين المواطنين، وفهم واحترام التنوُّعِ الدِّينيِّ والمذهبيِّ وتنشيط الشراكات المجتمعيَّة، وتعزيز الهُوِيَّة الوطنيَّة الجامعة.

ب- أبرز التوصيات:

1. يتوجَّب على الخطاب الدينيِّ والاجتماعيِّ المعاصر أن يُعيد بناء وعيه بالآخَر، على أُسُسٍ من الإنصاف والاعتراف بالتنوُّع الإنسانيِّ والثقافيِّ الخلَّاق، بما ينسجم مع روح الإسلام ومقاصده الكبرى.
2. نشر الوعي بالتنوُّع داخلَ الطوائف، والتعامُل مع الأفراد كأفراد، وليس ككتلٍ متجانسة.
3. تجنُّب التنابُز بألقاب التعريض؛ كتسمية الطرف الآخَر بالنواصب، أو الرافضة. واختيار اللَّقب العلميِّ الذي ارتضاه كلُّ فريقٍ لنفسه؛ كأهل السنَّة والجماعة، والإماميَّة الاثني عشريَّة، أو الجعفريَّة.

ج- بعض المقترحات العلميَّة:

1. اقتراح دراسة نقدية لمفاهيم التسامح والاعتراف بالآخَر في التراث الإسلامي، مع تحليل كيفية تطويرها لتتوافق مع متطلبات التعددية الثقافية والدينية في العصر الحديث، بعنوان: "إعادة قراءة مفهوم الاعتراف بالآخَر في الفكر الإسلامي- من التسامح إلى التعدُّدية الفاعلة".
2. اقتراح إجراء تحليل مقارن بين مفاهيم الاعتراف بالآخَر في الفكر الإسلامي الحديث ونظيراتها في الفلسفة الغربية، مثل نظرية الاعتراف عند أكسل هونت، لتحديد نقاط الالتقاء والاختلاف، بعنوان: "الاجتهادات الفكرية المعاصرة ودورها في تعزيز ثقافة الاعتراف بالآخَر- دراسة مقارنة بين الفكر الإسلامي والغربي".
3. اقتراح تحقيق في كيفية مساهمة المناهج التعليمية، خاصة في المؤسسات الدينية، في ترسيخ أو تقويض ثقافة الانفتاح على الآخَر والاعتراف به، مع تقديم توصيات لإصلاح المناهج بما يعزز التعددية، بعنوان: "دور المؤسسات التعليمية في بناء ثقافة الانفتاح على الآخَر- مناهج التعليم الديني نموذجًا".
4. اقتراح تحليل في مدى إمكان الخطاب الديني أن يساهم في تعزيز أو تقويض فهم الآخَر، وتأثير ذلك في جهود التنمية، بعنوان: "الخطاب الديني والجهل بالآخَر- تأثيره في التنمية المستدامة في المجتمعات المسلمة".

5. اقتراح بحث حول تأثير التوترات الاجتماعية الناتجة عن الجهل بالآخَر في تنفيذ السياسات البيئية الضرورية للتنمية المستدامة، بعنوان: "الجهل بالآخَر والتحديات البيئية- دراسة في تأثير العلاقات الاجتماعية في السياسات البيئية في الدول الإسلامية".

6. اقتراح بحث في كيفية تطور الاجتهادات الفقهية المتعلقة بالأقليات الدينية والثقافية، ودورها في تعزيز أو تقويض ثقافة الانفتاح على الآخَر داخل المجتمعات الإسلامية، بعنوان: "الاجتهادات الفقهية الحديثة ومساهمتها في تعزيز ثقافة الانفتاح على الآخَر- دراسة في فقه الأقليات".

الهوامش

(1) فحص، هاني (ت1435هـ)، مقيمون في الذاكرة (دمشق: دار المدى، ط1، 2012م)، ص 158.
(2) ينظر: البديوي، خالد بن محمد، أعلام التصحيح والاعتدال- مناهجهم وآراؤهم (ط1، 1427هـ/2006م)، ص 6-7.
(3) آل كاشف الغطاء، محمد الحسين (ت1373هـ)، أصل الشيعة وأصولها مقارنة مع المذاهب الأربعة (بيروت: دار الأضواء، ط1، 1410هـ/1990م)، ص 72.
(4) العوا، محمد سليم، العلاقة بين السنة والشيعة (القاهرة: سفير الدولية للنشر، ط1، 1427هـ/2006م)، ص7.
(5) أبو المجد، أحمد كمال (ت1440هـ)، حوار لا مواجهة (القاهرة: دار الشروق، 1408هـ/1988م)، ص 270.
(6) آل كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، ص 135.
(7) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت460هـ)، التبيان في تفسير القرآن (تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت، 9ج)، 3/1.
(8) الخميني، روح الله بن مصطفى (ت1409هـ)، أنوار الهداية في التعليقة على الهداية (تحقيق: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، مكتب الإعلام الإسلامي، ط1، 1413هـ، 2ج)، 243/1-245.
(9) ينظر: تقرير برونتلاند،
Report of the World Commission on Environment and Development. 1987. P 37.
(10) جامعة الملك عبد العزيز، التنمية المستدامة في الوطن العربي بين الواقع والمأمول (سلسلة دراسات يصدرها مركز الإنتاج الإعلامي بجامعة الملك عبد العزيز، الإصدار 11، 1427هـ)، ص 3، 40.
(11) ينظر: الأمم المتحدة، "تقرير أهداف التنمية المستدامة" 2017، ص 2، https://n9.cl/zcy3
(12) الصيمري، أبو عبد الله الحسين بن علي (ت436هـ)، أخبار أبي حنيفة وأصحابه (تحقيق: سائد بكداش، دار السراج، ط1، 1444هـ/2023م)، ص 156. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت463هـ)، تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواريدها (تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1422هـ-2001م، 17م)، 463/15-464. والزيادات للصيمري.
(13) ابن البزاز الكردري، محمد بن محمد (ت827هـ)، مناقب الإمام الأعظم (مطبوع على هامش كتاب مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة للموفق المكي، الدكن، دائرة المعارف النظامية، ط1، 1321هـ، 2ج)، 39/1.
(14) خطيب خوارزم، أبو المؤيد موفق بن أحمد المكي (ت568هـ)، مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان (الدكن: دائرة المعارف النظامية، ط1، 1321هـ، 2ج)، 167/1-168.
(15) الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت204هـ)، الرسالة (تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة: مكتبه الحلبي، ط1، 1358هـ/1940م)، ص 507.
(16) ينظر: الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت476هـ)، شرح اللمع (تحقيق: عبد المجيد تركي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1408هـ/1988م، 2ج)، 970/2.
(17) الآمدي، أبو الحسن علي بن محمد (ت631هـ)، الإحكام في أصول الأحكام (تعليق: عبد الرزاق عفيفي، الرياض: دار الصميعي، ط1، 1424هـ/2003م، 4ج)، 191/4.
(18) كمال الدين الغزي، محمد بن محمد العامري (ت1214هـ)، النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل (تحقيق وجمع: محمد مطيع الحافظ- نزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط1، 1402هـ/1982م)، ص 187.
(19) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت458هـ)، مناقب الشافعي (تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة: مكتبة دار التراث، ط1، 1390هـ/1970م، 2ج)، 93/2.
(20) مغنية، أحمد، جعفر الصادق- عرض ودراسة (بيروت: مكتبة الأندلس، ط1، 1956م)، ص 119-121.

([21]) طوني، بولس، "العلّامة الأمين: الشيعة في العالم العربي ينتمون بالدرجة الأولى إلى بلدانهم وشعوبهم، وهم ليسوا مواطنين إيرانيين"، 4 مايو 2024، https://n9.cl/2zkvs
([22]) الشاطبي، إبراهيم بن موسى (ت790هـ)، الموافقات (تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ/1997م، 7ج)، 5/177-178.
([23]) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ)، المستصفى من علم الأصول (تحقيق: محمد سليمان الأشقر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1417هـ/1997م، 2ج)، 1/409.
([24]) ينظر: مؤسسة لتعارفوا، العلامة السيد علي الأمين بأقلام الكتَّاب والباحثين (بيروت: مؤسسة لتعارفوا، ط1، 1436هـ/2015م).
([25]) الأمين، علي، السنة والشيعة أمة واحدة إسلام واحد واجتهادات متعددة (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط2، 1436هـ/2015م)، ص 31، 33. وزبدة التفكير في رفض السب والتكفير (بيروت- دبي: مدارك للنشر، ط2، 2015م)، ص 38.
([26]) الأمين، السنة والشيعة أمة واحدة إسلام واحد واجتهادات متعددة، ص 17، 37، 49. والأحزاب الدينية (بيروت- دبي: مدارك للنشر، ط3، 2013م)، ص 7. وزبدة التفكير في رفض السب والتكفير، ص 56، 77، 96.
([27]) الأمين، علي، "رسالة إلى اللبنانيين الشيعة ومناشدة للمرجعية الدينية في العراق"، 24 نوفمبر، 2024، https://n9.cl/69jh1
([28]) أمم للتوثيق والأبحاث، "العلامة السيد علي الأمين: لبنان يجمعنا والدولة مرجعنا"، 8 يناير، 2025، https://n9.cl/i1pgm
([29]) مسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري (ت261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت، 5ج)، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ، 1/137، رقم: 156، عن جابر بن عبدالله.

فهرس المصادر والمراجع

أ- المصادر الورقيَّة:

1. آل كاشف الغطاء، محمد الحسين (ت1373هـ). أصل الشيعة وأصولها مقارنة مع المذاهب الأربعة. بيروت: دار الأضواء، ط1، 1410هـ/1990م.
2. الآمدي، أبو الحسن علي بن محمد (ت631هـ). الإحكام في أصول الأحكام. تعليق: عبد الرزاق عفيفي، الرياض: دار الصميعي، ط1، 1424هـ/2003م، 4ج.
3. الأمين، علي:
4. الأحزاب الدينية. بيروت- دبي: مدارك للنشر، ط3، 2013م.
5. زبدة التفكير في رفض السب والتكفير. بيروت- دبي: مدارك للنشر، ط2، 2015م.
6. السنة والشيعة أمة واحدة إسلام واحد واجتهادات متعددة. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط2، 1436هـ/2015م.
7. البديوي، خالد بن محمد. أعلام التصحيح والاعتدال- مناهجهم وآراؤهم. ط1، 1427هـ/2006م.
8. ابن البزاز الكردري، محمد بن محمد (ت827هـ). مناقب الإمام الأعظم. مطبوع على هامش كتاب مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة للموفق المكي، الدكن، دائرة المعارف النظامية، ط1، 1321هـ، 2ج.
9. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت458هـ). مناقب الشافعي. تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة: مكتبة دار التراث، ط1، 1390هـ/1970م، 2ج.
10. جامعة الملك عبد العزيز، التنمية المستدامة في الوطن العربي بين الواقع والمأمول، سلسلة دراسات يصدرها مركز الإنتاج الإعلامي بجامعة الملك عبد العزيز، الإصدار 11، 1427هـ.
11. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت463هـ). تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها. تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1422هـ،2001م، 17م.
12. خطيب خوارزم، أبو المؤيد موفق بن أحمد المكي (ت568هـ). مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان. الدكن: دائرة المعارف النظامية، ط1، 1321هـ، 2ج.
13. الخميني، روح الله بن مصطفى (ت1409هـ). أنوار الهداية في التعليقة على الهداية. تحقيق: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، مكتب الإعلام الإسلامي، ط1، 1413هـ، 2ج.

14. الشاطبي، إبراهيم بن موسى (ت790هـ). الموافقات. تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ/1997م، 7ج.
15. الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت204هـ). الرسالة. تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة: مكتبه الحلبي، ط1، 1358هـ/1940م.
16. الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت476هـ). شرح اللمع. تحقيق: عبد المجيد تركي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1408هـ/1988م، 2ج.
17. الصيمري، أبو عبد الله الحسين بن علي (ت436هـ). أخبار أبي حنيفة وأصحابه. تحقيق: سائد بكداش، دار السراج، ط1، 1444هـ/2023م.
18. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت460هـ). التبيان في تفسير القرآن. تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت، 9ج.
19. العوا، محمد سليم. العلاقة بين السنة والشيعة. القاهرة: سفير الدولية للنشر، ط1، 1427هـ/2006م.
20. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ). المستصفى من علم الأصول. تحقيق: محمد سليمان الأشقر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1417هـ/1997م، 2ج.
21. فحص، هاني (ت1435هـ). مقيمون في الذاكرة. دمشق: دار المدى، ط1، 2012م.
22. كمال الدين الغزي، محمد بن محمد العامري (ت1214هـ). النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل. (تحقيق وجمع: محمد مطيع الحافظ- نزار أباظة، دمشق: دار الفكر، ط1، 1402هـ/1982م.
23. مؤسسة لتعارفوا. العلامة السيد علي الأمين بأقلام الكتّاب والباحثين. بيروت: مؤسسة لتعارفوا، ط1، 1436هـ/2015م.
24. أبو المجد، أحمد كمال (ت1440هـ). حوار لا مواجهة. القاهرة: دار الشروق، 1408هـ/1988م.
25. مسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري (ت261هـ). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت، 5ج.
26. مغنية، أحمد. جعفر الصادق- عرض ودراسة. بيروت: مكتبة الأندلس، ط1، 1956م.
27. Report of the World Commission on Environment and Development. 1987.

ب- المراجع الإلكترونيَّة:

1. أمم للتوثيق والأبحاث. "العلامة السيد علي الأمين: لبنان يجمعنا والدولة مرجعنا. موقع الأمين. 8 يناير 2025. https://n9.cl/i1pgm
2. الأمم المتحدة. "تقرير أهداف التنمية المستدامة 2017". موقع الأمم المتحدة. https://n9.cl/zcy3
3. الأمين، علي. "رسالة إلى اللبنانيين الشيعة ومناشدة للمرجعية الدينية في العراق". موقع الأمين. 24 نوفمبر 2024. https://n9.cl/69jh1
4. بولس، طوني. "العلّامة الأمين: الشيعة في العالم العربي ينتمون بالدرجة الأولى إلى بلدانهم وشعوبهم، وهم ليسوا مواطنين إيرانيين". موقع الأمين. 4 مايو 2024. https://n9.cl/2zkvs

Associate Professor:Mohammad Fouad Daher (Ph.D.)
Faculty of Literature and Humanities, Jinan University, Tripoli, Lebanon
mohamad.daher@jinan.edu.lb
ORCID: 0009-0008-6873-1770
0096181769928

Abstract

The research addresses the problem of ignorance of the other as an intellectual and social dilemma that has plagued human societies throughout the ages. It takes into account its multiplying impact in culturally and religiously mixed societies, resulting from misunderstandings, escalating conflicts, and the disruption of development. It aims to advocate for building a culture of knowledge of the other within Islamic society, in light of the global trend toward achieving the 2030 Sustainable Development Goals. It has become necessary to reconsider the relationship between knowledge of the other and the building of cohesive and peaceful societies. To what extent does ignorance of the other contribute to disrupting sustainable development projects in Muslim societies? In response to this problem, the research is organized into an introduction, five chapters, a conclusion, and an index of sources and references, according to the descriptive-analytical method.

He concluded with the following conclusions:

1- Ignorance of the Other represents a major obstacle to achieving sustainable development in Muslim societies. Addressing this ignorance begins with supporting harmonious educational curricula, promoting the values of dialogue, appreciating diversity, and valuing diverse religious experiences rather than demonizing them.

2- Ignorance of the Other breeds misunderstandings and exclusionary judgments, results in fanaticism, and fuels division and discord. The call remains open to intellectual and scientific elites to adopt reformist knowledge projects that raise the nation's awareness of the diverse Other, viewing them as partners in shaping the future, rather than as enemies to be feared.

3- Sayyed Ali Al-Amin's efforts provide a practical model for overcoming ignorance of the other, revealing that cognitive correction of inter-sectarian relations is a key pillar for building stable nations capable of economic and social advancement, in a manner fully consistent with the goals of sustainable development in our societies.

Keywords: Problem, ignorance of the other, sustainable development, humanities studies, comparative research.